ثالثا: الكتب المصنفة في الجمع بين الثقات والضعفاء.

وهي الكتب التي نالت الحظ الأوفر من تسميتها كتب الجرح والتعديل؛ لأنها جمعت بين المعدَّلين والمجروحين، وقد صنف في ذلك الأئمة كتباً كثيرة، منها المختصر ومنها المطول.

وهذه الكتب تختلف تسميتها، فبعضها يسمى بالتاريخ كتاريخ البخاري الكبير، والأوسط، وتاريخ ابن أبي خيثمة، ومنها ما يسمى بالجرح والتعديل مثل كتاب ابن أبي حاتم، وكتاب التعديل والتجريح لمن أخرج له البخاري في الجامع الصحيح، ومنها كتب السؤالات، وهي مجموعة من أسئلة توجه لعالم ناقد من طرف أحد تلامذته فيدون تلك الأجوبة ويفردها بالتصنيف، وهي كثيرة جدا، مثل التاريخ لابن معين برواية عباس الدوري، فهو مجموعة من الأسئلة عن الرواة وجهها عباس الدوري لشيخه ابن معين فأجابه عنها في تعديل الرواة وتجريحهم، وكذا سؤالات ابن الجنيد لابن معين، وتاريخ هاشم بن مرثد الطبراني عن ابن معين، وتاريخ عثمان بن سعيد الدارمي، عنه أيضا، ومعرفة الرجال لابن محرز عن ابن معين، ومن كلام ابن معين في الرجال رواية أبي خالد الدقاق، وهذه كلها أسئلة موجهة لابن معين من هؤلاء التلاميذ؛ في جرح الرجال وتوثيقهم، والإمام ابن معين يُعتبر من فرسان علم الجرح والتعديل، بل عليه المعول وإليه المرجع في هذا العلم، وهو أمير المؤمنين فيه، ولم يصنف رحمه الله تصنيفا خاصا بهذا العلم، بل هي مجموعة من أسئلة وجهها إليه تلامذته، ثم ينسخونها في كتب عرفت إما بالتاريخ أو السؤالات أو غير ذلك.

قال ابن رجب رحمه الله: «وكان ابن معين يكره أن يدوّن كلامه في الجرح والتعديل، ولم يدوّن هو شيئاً فيما أظن، وإنما سأله أصحابه ودونوا كلامه. منهم: عباس الدوري، وإبراهيم بن الجنيد، ومضر ابن محمد، والمفضل الغلابي، وعثمان بن سعيد الدارمي، ويزيد بن الهيثم، وغيرهم».

وأيضا من كتب السؤالات سؤالات الآجري أبا داود السجستاني، وسؤالات البرقاني

والسهمي وغيرهما للإمام الدارقطني، وسؤالات مسعود السجزي للإمام الحاكم، وغيرها كثير، وقد جمعت هذه الكتب في طياتها الكثير من تراجم الرواة الثقات والضعفاء.

ولعل أجمع كتاب في ذلك هو كتاب الإمام أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (327هـ)، الموسوم بالجرح والتعديل.

وهو مطبوع ومتداول في 9 مجلدات، بتحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله.

ابتدأ المؤلف ابن أبي حاتم بمقدمة ضافية سماها تقدمة الجرح والتعديل، يقول عنها الإمام المعلمي رحمه الله: « هي بمنزلة الأساس أو التمهيد لكتاب الجرح والتعديل، افتتحه المؤلف ببيان الاحتياج إلى السنة وأنها هي المبينة للقرآن، ثم الحاجة إلى بيان الصحيح من السقيم، وأن ذلك لا يتم إلا بمعرفة أحوال الرواة، وأن معرفة الصحيح والسقيم ومعرفة أحوال الرواة إنما يتمكن منها الأئمة النقاد.

ثم أشار إلى طبقات الرواة، وذكر نبذة في تنزيه الصحابة وتثبيت عدالتهم، ثم الثناء على التابعين، ثم ذكر أتباعهم، وذكر مراتب الرواة ثم ذكر الأئمة وسرد بعض أسمائهم ثم خلص إلى مقصود الكتاب ـ أي التقدمة ـ وهو شرح أحوال مشاهير الأئمة كمالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغيرهم.. وساق لكل واحد من الأئمة ترجمة مبسوطة تشتمل على بيان علمه وفضله ومعرفته ونقده وغير ذلك من أحواله، وجاء في ضمن ذلك فوائد غزيرة جدًّا في النقد والعلل، ودقائق الفن لا توجد في كتاب آخر».

واشتملت هذه المقدمة على كل المجلد الأول من الكتاب، وفي بداية الثاني أيضا مقدمة أخرى للكتاب لا تقل أهمية عما ورد في المجلد الأول.

ثم ذكر منهجه في كتابه الجرح والتعديل، فقال عليه رحمة الله: «وقصدنا بحكايتنا الجرح والتعديل في كتابنا هنا إلى العارفين به العالمين له متأخرا بعد متقدم إلى أن انتهت بنا الحكاية إلى أبي وأبي زرعة رحمهما الله ولم نحك عن قوم قد تكلموا في ذلك لقلة معرفتهم به، ونسبنا كلَّ حكاية إلى حاكيها والجوابَ إلى صاحبه، ونظرنا في اختلاف أقوال الأئمة في المسئولين عنهم فحذفنا تناقض قول كلِّ واحد منهم وألحقنا بكل مسئول عنه ما لاق به وأشبهه من

جوابهم.

على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روي عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى، وخرَّجنا الأسامي كلها على حروف المعجم وتأليفها وخرجنا ما كثر منها في الحرف الواحد على المعجم أيضا في أسماء آبائهم ليسهل على الطالب إصابة ما يريد منها ويتجه لموضع الحاجة إليها إن شاء الله تعالى».

وقد بلغت تراجم هذا الكتاب أزيد من 18000 ترجمة، وقد سعى أبلغ السعي مؤلفه في استيعاب جميع الرواة إلى عصره، واستيعاب ما قيل فيهم من أقوال عن الأئمة النقاد، مثل أبيه وأبي زرعة والإمام أحمد وشعبة وابن معين والقطان وغيرهم.

قال المعلمي: «فهذا الكتاب هو بحق أم كتب الفن ومنه يستمد جميعُ من جاء بعده ».

وهو أحد الأصول التي اعتمدها الإمام المزي في كتابه تهذيب الكمال.